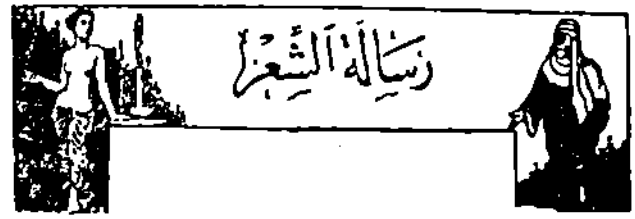

محاورة :

بين ريح وشجيرة

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

مرت الريح على حق ل ، وفى الحقل شجيره
فاستقرت عندها حي نا ، وقالت بعد فتره :
يا ابنة الحقل انظريني تنظرى فى الحقل حره
ليس لى مثلك قيد أشتكى لله أسره

خبريني يا ابنة اللي ل ، ويا أخت النهار
خبريني أى نفع لك فى هذا القرار ؟
كيف ترضين بسار الـ قيد ، أو ذل الإسار ؟
لم لا تحيين مثلى حرة فى كل دار ؟

أنا أعلى منك شأناً أنا أسمى منك قدرا
هل يساوى العبد من عا ش مع الأيام حرا ؟
والذى عاش اختيارا دونه من عاش قسرا
إن للخالق فى رد مة بعض الخلق سرا

أنا أطوى الكون براً وأنا أطويه بحرا
وأنا أصعد حتى ترجع الأبصار حسرى
ولقد أهبط حتى لا يرى غيرى مقرا
إن هذا الكون دارى وأنا بالدار أدرى

أنا أمضى كيفما شئـ ت يميناً أو شمالا
ولقد أمضى جنوبا ولقد أمضى شمالا
ولقد أعصف حتى يرجف العصف الجبالا
ولقد أسرى فما يو قظ مسراى الرمالا

فهو حين تحدث عنه تكلم عن كل ما يتصل بهذا الحادث ، ذكر الحادث ، وذكر شهداءه ، وذكر ما قاساه أبناء دنشواى من اضطهاد ، وماجر إلى ذلك من ويل وثبور وتنكيل بالظلومين فقال :

يا دنشواى على رباك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام
شهداء حكمك فى البلاد تفرقوا هيهات للشمل الشتيت نظام
مرت عليهم فى اللحود أهلة ومضى عليهم فى القيود العام
كيف الأرامل فيك بعد رجالها وبأى حال أصبح الأيتام
عشرون بيتا أقفرت وانتابها بعد البشاشة وحشة وظلام

فأنت ترى كيف وصل ما بين الأبيات فى موضوع واحد هو « دنشواى » وهكذا إلى آخر هذه القصيدة . لا يكاد يخرج عن هذا الموضوع قيد أنملة . كما أننا لا ننسى أن فى شوقى عنصر خطيرا آخر من عناصر التجديد هو ـ الشعر التمثيلى ـ فقد استطاع شوقى بحسن ثقافته وسعة اطلاعه وبراعة تذوقه للأدب أن ينقل إلى الشعر العربى لونا جديدا من ألوانه وأن يطعمه بهذه التمثيليات التى تعد عنصرا دخيلا فى الشعر العربى ، وقد كاد أن يكون خلوا منها اللهم إلا شذرات وخطرات جاءت فيه عفوا وهى شاذة ـ والشاذ لا حكم له ـ [1]

هذه التمثيليات قائمة على الحوار الشعرى ومنها تمثيلية « كليوباتره » و « على بك الكبير » و « مجنون ليلى » وغيرها

وهذه البدعة الحسنة التى استنها شوقى لا تزال سنة يحتذيها الشعراء من بعده مكثرين ومقلين وخاصة المجيدين منهم . وبعد هذا كله لا يسعنا الا أن نقول إن البارودى استطاع أن يبعث الشعر العربى من رقدته الطويلة ، بينما استطاع شوقى أن يجدد فيه حتى سائر الشعر الغربى الحديث فى كثير من شعابه ونواحيه .

فماذا بعد شوقى من تجديد ؟ ؟

(الموضوع بقية)

مصطفى صادق

(١) التمثيليات الدرسية ، « الأربريت » الدرسية لصاحب هذا المقال : (تحت الطبع) .

إننى أسرى مع الليـ ـل ، ولا أخشى الظلاما
إننى أمشى على السهـ ـل ، وأجتاز الأكاما
كم تخذت الروض دارا وذرى البيـد مقاما
غير أنى لم أقم فى موضع إلا لماما

إننى أحيا كما أهـ ـوى ، وتحيين سجينه
أملأ الكون غناء بينما أنت حزينه
وقريبا سوف تطوي لك يد الموت المكينه
ثم ماذا ؟ ثم تبقـ ـين مدى الدهر دفينه

هكذا حالى : غناء وانطلاق وبقاء
بينما حالك : صمت وقيود وفناء
إننى والله أرثى لك ، لو يجدى الرثاء !
فاذرفى الدمع على حا لك ، لو يجدى البكاء !

قالت الخضراء بنت الـ ـحقل فى صوت وزين :
يا ابنة الآفاق يا حيـ ـرى بآفاق السنين
أنظرى حالك إن كنـ ـت لحالى تأسفين
واذرفى الدمع على نفـ ـسك ، لو يجدى الأنين ،

إننى أحيا هنا فى ذلك الحقل أميره
ليس يؤذينى عناء السير فى الدنيا الكبيره
كل ما أبغيه يأتى من يد الله القديره
إن يكن ذلك أمراً فأنا نعم الأسيره !

إن طلبت الماء لبى رغبتى ماء السماء
أو أردت النور حية نى تباشير الضياء
أو رغبت الظل ذاب النور فى ظل الماء
قلى الرى الذى أهـ ـوى ، ولى خير الغذاء

إننى نفع لغيرى كهذا الشمس المنير
فأنا أنشر ظلى وارفا وقت الهجير
فينام التعب الحران فى ظلى الكبير
وتغنى الطير أسرا بأ على شط الغدير

إننى ظل ظليـ ـل ونعـ ـاء مشتهـ ـاه
أنا عش الطير تقضى فيه أيام الحيـ ـاه
وأنا أحيـا بدنيا ى كما شاء الإله
إن يكن ذلك قيدا ليس لى قيد سواه

عاندى الأقدار إن لم يك هذا مستحيلا !
فإذا اختارت سبيلا لك ، فاختارى سبيلا !
وإذا شاءتك إعصا را ، فكونى سلسبيلا !
وأقيمى فى ظلالى حين تبغيك الرحيلا !

إن هذا الكون سجن مترامى الجنبات
حاولى أن تخرجى منـ ـه إلى يوم الممات
أخرجى من أى باب قام فى أى الجهات
أخرجى إن لم تكونى مثل باقى الكائنات

أنت فى القيد ، ولكن رب قيد غير ظاهره
رب قيد كان سرا بين أعماق السرائر
لا نره نحن بالأبـ ـصار لكن بالبصائر
فانظرى أقيدك يا حوة ، يا بنت الحرائر !

صدقينى نحن فى القيـ ـد ، وفى الأسر سواء
كانا نحيا لغايا ت أرادتها السماء
قد جهلناها فعشنا مثلما شاء القضاء
هكذا نحيا ! ونمضى حينما يأتى الفناء

لا تقولى شأنك الخلـ ـد ، وشأنى للزوال
فأنا فى الحقل أحيـا منذ أعوام طوال
وسأمضى عنه يوما لمصيرى ومآلى
فإذا بى أتجلـ ـى للورى فى غير حالى

فأنا العرش معدا للمليـ ـك أو أمير
وأنا الكرسى فى غر فة منبوذ فقير
وأنا القصر الذى يعـ ـلو على كل القصور
وأنا الكوخ الذى يخـ ـشع ما بين القبور

وأنا عكازة الأعـ ـمى التى تهدى خطاه
إنها تهديه لكن لا يراها أو تراه